

الفصل الثالث عشر:

الثائرة

عن المواجهة

والموت

والانتصار الأخير

لم يكن الليل قد انتصف عندما اشتعلت الأمور في القسم الشرقي من القصر، الذي يحوي أجنحة مخصصة للضيوف وهي فارغة حالياً، بالإضافة لقاعات اجتماع ومكاتب لبعض الوزراء.. كان الجنود يقفون في مواقعهم كالعادة يراقبون ممرات القصر شبه المظلمة رغم علمهم أن مخلوقاً لن يصل إلى هذه الممرات دون أن يكشفه الجنود عند مداخل القصر.. لذلك، كانت دهشتهم مروعة عندما رأوا بضع مكعبات سوداء تلقى قريباً منهم من إحدى الجهات التي تعلوها ظلمة خفيفة.. وفور أن أدركوا ماهية تلك المكعبات حتى صاح أقربهم لها "ابتعدوا..".

تبع حديثه انفجار محدود هز القصر وكسر الهدوء المخيم عليه تبعه عدة انفجارات من الموقع نفسه.. غمرت سحابة من الدخان المكان عندما وقف أبعد الجنود هاتفاً "هل أنتم بخير؟"

جاوبه أنين بعض الجنود والآخرين يسرعون لنجدتهم فيما وقف البعض مشهراً أسلحته بتحفز وتوتر لا مثيل له.. لكن الصمت عم المكان بعد ذلك الاحتفال القصير والجنود يسارعون إلى الجهة التي ظهرت منها المكعبات بحذر شديد.. انقشع الدخان بعد فترة قصيرة والجنود يبحثون عن الفاعلين في القسم كله وأحدهم يتحدث في جهاز الاتصال إلى نائب القائد العام للجند والذي يبقى طوال الليل ساهراً تحسباً لأي طارئ..

بعد فترة قصيرة اجتمع الجنود مجدداً وأحدهم يقول "لا شيء.. القسم كله خالٍ من أي أثر.."

قال الجندي الذي بقي على اتصال مع النائب "عاودوا البحث.. نائب القائد أت الآن وسيشرف بنفسه على الأمر.."

لم يعترض الجنود على قوله وهم يعاودون الانتشار في المكان، فيما التفت الجندي إلى من بقي قربه قائلاً "انقلوا الجرحى بعيداً، وليحضر أحد الأطباء لعلاجهم بسرعة.."

جاوبه صوت رصاص صادر من البقعة ذاتها التي أتت منها القنابل، فالتفت بدهشة ليرى بضع جنود يتساقطون جرحى والرصاص ينهمر بغزارة من موقع مظلم لا ينيره أي مصباح من المصابيح القريبة الخافتة الإضاءة.. صرخ الجندي برفاقه ملقياً عليهم بعض الأوامر فيما انشغل بعضهم بتبادل إطلاق النار مع أولئك المجهولين..

في جانب من القصر بعيد عن موضع الاشتباك، كان نائب القائد العام يسير بسرعة مع بعض الجنود باتجاه القسم الشرقي وهو يحاول الاتصال بالقائد العام.. حاول عدة مرات لكن تعذر عليه ذلك مما جعله يهتف بسخط "أهذا وقت مناسب للتأخير؟ لقد حدث ما كنا نخشاه بالفعل.. ستطير رقاب كثيرة الليلة.."

لم يعلق الجنود خلفه بكلمة، فيما سارع النائب للاتصال بقائد إحدى فرق الجند المراقبة قرب باب القصر الشرقي "أطلق الإنذار العام.. بعض الثوار نجحوا في التسلل للقصر تحت أبصاركم أيها الأغبياء.."

تساءل قائد الفرقة بذهول "كيف؟ لا يمكن لحشرة أن تمر جوار القصر دون أن نعلم"

جاوبه النائب بسخرية "لكن فرقة كاملة استطاعت الدخول للقصر بعتادها.. يبدو أنكم ركزتم انتباهكم على الحشرات حتى استطاع هذا الجيش المرور فوق رؤوسكم دون أن تعلموا"

لم يعلق قائد الفرقة وهو يقطب بضيق، فيما قال النائب بحدة "أرسل لي عدة فرق للقسم الشرقي.. يجب أن

نتدارك هذا الموقف ونقبض عليهم قبل أن يصلوا للملك.."

قال قائد الفرقة بحزم "لا يمكنني هذا يا سيدي.. لقد حذرني القائد العام من التحرك أنا أو أيًا من جنودي عن هذا الموقع حتى لو احترق القصر بأكمله.. هذا أمره بالحرف الواحد"

قال النائب بغيظ "ما فائدة حراسة المدخل في هذه المصيبة التي نحن فيها؟.. تبا لك"

وأنهى الاتصال بحدة، ثم بعد تفكير أجرى اتصالاً عاماً بالجند الموجودين في القصر، وقال بحدة "انتباه إلى جميع الجنود في القصر.. لقد أفلح الثوار بالدخول إلى القصر، والآن هم مشتبكون مع جنودنا في القسم الشرقي.. أريد من كل قسم أن يرسل لي عشرة جنود على الأقل إلى القسم الشرقي مسلحين بعتادهم.. والبقية عليهم تشديد الحراسة في مواقعهم.. أي تأخير سيحاسب عليه الجميع.."

وأنهى الاتصال وهو يسرع في طريقه إلى المعركة الدائرة والتي كانت تهز القسم الشرقي من القصر كله..

انتفض مانيم لدى سماعه لصوت القتال الدائر في القسم الشرقي من القصر.. كان الصوت يصل لسمعه خافتاً وإن كان شديد الوضوح مما جعله يهتف بجنوده "ما الأمر؟ هل تمكن الثوار من الوصول للقصر وأنتم غافلون؟"

ظل الجنود يتطلعون لبعضهم البعض بحيرة وأحدهم يتقدم من مانيم قائلاً "لا علم لنا حتى الآن يا مولاي.. لم تردنا أخبار من القائد العام أو من نائبه"

فقال مقطباً "إذن اتصل بأحدهما بسرعة واستفهم عن الأمر.."

سارع الجندي مطيعاً قوله بالاتصال بالقائد العام للجند، لكن لم يكمل الاتصال حتى وجد نائب القائد يدلف القاعة بعجلة هاتفاً "مولاي.. الثوار.."

قاطعه مانيم قائلاً بعصبية "قد تسللوا للقصر.. أهذا ما جئت تقوله؟"

قال النائب بالعلأ ريقه "بلى يا مولاي.. لقد ظهروا فجأة عند القسم الشرقي من القصر وهم يشتبكون مع رجالنا في قتال محدود.."

ضرب مانيم على عرشه بقبضة يده قائلاً بحدة "لماذا لم تقبضوا عليهم حتى الآن؟ بل اقتلوهم.. اقتلوهم دون هودة فهذا أفضل.."

قال النائب بتوتر "حاولنا ذلك يا سيدي.. لكن تعذر ذلك على الجنود حتى الآن.."

قال مانيم بغضب "اتصل بالقائد العام.. فليعد هو والفرق الأخرى من المدينة ويتخلصوا من الثوار في القصر.. وأنت.. ابحث عن المتسببين بإهمالهم في تسلل الثوار للقصر رغم الحراسة المشددة.."

قلب النائب كفيه قائلاً "لكن يا مولاي.. لقد تأكدت من الأبواب والمداخل في القصر كافة.. جميعها محمية بتشدد، ورغم القتال المحدود الدائر عند البوابة الشمالية، فإن أحداً من الثوار لم يفلح بدخول القصر عبرها.. لكن الثوار في القصر بدوا كالأشباح، يظهرون لينشروا الدمار، ويختفون قبل أن ننجح في القبض على أحدهم.."

اتسعت عينا مانيم بدهشة قائلاً "كيف ذاك؟ كيف تمكنوا من فعل هذا وهم غرباء عن القصر؟ بل إنهم يدمرون مواقع استراتيجية في المدينة رغم أنهم قدموا منذ فترة قصيرة إلى المدينة.. فمتى أحاطوا علماً بهذه المواقع وبطريقة الدخول للقصر دون أن يكشفهم الجنود؟"

أجاب النائب "لقد علمت أن كثيراً من مواطني يناساً قد انضموا للثوار.. لابد أنهم أمدوهم بكل المعلومات التي احتاجوا إليها لتكون ضرباتهم موجعة أكثر.."

قال مانيم مقطباً بحلق "لا.. لا يكفي ما يحمله أولئك من معلومات لإيصال الثوار إلى ما هم عليه الآن.. لابد أنها هي.. هي معهم ولاشك، ولن أكون مانيم إن لم أقبض عليها"

ثم التفت إلى النائب المتعجب وأمره قائلاً "ابحث عن بي ناريا.. إنها هنا في القصر.. ابحث في جناحها أو في أي بقعة قد تكون فيها.. لا أريد إخفاقاً هذه المرة في الإمساك بها.. يجب أن أحرم الثوار من مصدر معلومات مهم مثلها"

انطلق النائب لتنفيذ أمره فيما غمغم مانيم بابتسامة ساخرة "عدت إلى قصرك أخيراً يا بي ناريا؟.. لكنك جئت لقدرك بنفسك أيتها الفتاة.."

نهضت جوين واقفة بقلق وهي تلتفت إلى الخطوات الراكضة خلفها.. فرأت بي ناريا تقترب منها هامسة مخطوفة الأنفاس "هل أغلقت باب الجناح بإحكام؟"

هزت جوين رأسها إيجاباً، فتنهدت بي ناريا وهي تتهاوى على كرسي قريب "الأوغاد، اقتحموا جناحي وندسوه بأحذيتهم القذرة.. يبدو أن مانيم شك بوجودي في القصر مع ظهور الثوار فيه فأرسلهم للقبض علي.. من الجيد أنني استطعت الهرب قبل أن يروني هناك"

تساءلت جوين بقلق "لماذا خاطرت بالذهاب إلى جناحك في هذه الأوقات الخطرة يا مولاتي؟ الثوار أبلغوك أنهم لن يحاولوا حمايتك في القصر"

أزاحت خصلات شعرها عن وجهها وهي تقول بكبرياء "لست بحاجة لحماية أحد.. هذه مدينتي وهذا قصري ولن يتمكن مانيم من زحزحتي منه.. ثم إنني سئمت من هذه الملابس المبللة الرثة، فأردت استبدال ملابسني قبل الإتيان بخطوة أخرى.. لكنني لم أقدر إلا على سرقة أحد أثوابي وإحضاره إلى هنا قبل أن يراني أحدهم.."

ثم قالت وهي تشرع باستبدال ملابسها "المهم، أريدك أن تجمعيني بالجنود المخلصين لي قبل أن تطلع شمس النهار.. يجب أن اتخذ خطوة سريعة مستغلة انشغال مانيم والثوار ببعض.. لن أنتظر حتى يحقق الثوار أهدافهم ويتغلبوا علي"

علقت جوين "أمرك مولاتي.. لكن أئن يكون قدومهم إلى جناح الملكة الأم خطراً عليها وعليك؟"

قالت بي ناريا "بل أريد الاجتماع بهم في جناحي.. فليتظاهروا بأنهم يفتشون الجناح مجدداً ويتأكدوا من خلوه من أتباع مانيم، بعدها سأحضر عبر الممر السري وألتقي بهم.."

فقال جوين "حسناً.."

نظرت بي ناريا للملكة النائمة وتساءلت "هل هي بخير؟"

قالت جوين "لا تخافي.. إنها نائمة منذ غادرتنا.. وأرجو أن تكون بخير.. غداً مع بعض العناية ستصبح أفضل.."

قالت بي ناريا "غداً سأحاول الوصول لطبيب القصر وإحضاره لعلاجها.. لا يمكن تركها تتعذب هكذا.."

قالت جوين بقلق "لا يمكنك الخروج الآن فمانيم ولاشك يبحث عنك في القصر كله.."

أجابت بي ناريا "لا تقلقي.. سأرى إن كنت أستطيع الوصول إليه عبر الممرات السرية، وسأحضره عبرها أيضاً.."

علقت جوين مبتسمة "لم تعد هذه الممرات سرية جداً لكثرة من عرفوا بها.."

اقتربت بي ناريا من فراش الملكة الأم لتطمئن عليها.. كانت الملكة الأم تزاد شحوباً في كل لحظة تراها مما زاد غضبها وحنقها على مانيم.. تلمست يد الملكة الأم برفق خشية أن توقظها وهي تهمس "قريباً يا أماه.."

سننتصر على مانيم، وستستردن صحتك وتشهدين عودتي ملكة على الكوكب قاطبة.."

شعرت ببرودة غريبة تتسلل ليدها من يد الملكة الأم.. تلمست يدها بقلق، ثم وضعت يدها على خد الملكة الأم وهي تتأدبها.. لا تدري لم شعرت بذعر جعلها تهز الملكة الأم وهي تقول بصوت أعلى "أماه.. استيقظي.. هل أنت بخير؟"

اقتربت جوين بدهشة وهي تقول "إنها نائمة.. لا داعي لإفزعها يا مولاتي.."

فصاحت بي ناريا "لكنها لا تجيب.."

هزت الملكة الأم بقوة أكبر دون أن تجد منها استجابة، فوضعت رأسها على صدرها محاولة الاستماع لنبضها..

مرت لحظات قاسية والصمت يعم المكان قبل تعتدل واقفة وتتنظر لوجه الملكة الأم بذهول.. فيما سارعت جوين لتفحص الملكة الأم بدورها بقلق.. أما بي ناريا، فقد تهاوت أرضاً وهي تنظر إلى وجه الملكة الأم الساكن رغم شحوبه.. وهمست بصوت مرتجف ودموعها تتدافع من عينيها "لقد رحلت.. رحلت قبل أن تفرح بنصري.. قبل أن تنعم بالراحة والأمان بغياب مانيم.. الوغد، لقد قتلها.. قتلها.. الوغد، سلبني كل شيء في هذه الدنيا.."

وأجهشت في بكاء مريع غير عابئة بجوين التي أخذت تبكي بدورها قرب الملكة الأم.. هذه صدمة جديدة أصابتها في الصميم قبل أن تتعافى من كل الصدمات التي حلت بها.. هذه كانت آخر من ساندتها في الدنيا بإخلاص وآخر من منحها حباً بلا حدود.. وقد خسرتها قبل أن تتمكن من رد جميلها ولو لوقت قصير.. شعرت أنها فقدت دعماً معنوياً كان يشجعها على الاستمرار ويمدها بالقوة.. ولا تدري متى سترتاح من المصائب التي حلت بها كلها..

قبل أن يبدأ الرئيس الجزء الثاني من خطته، جاءه رجلين من رجاله الذين أرسلهم إلى الجانب الشرقي من

القصر.. فقال له أولهم "أمورنا تسير على أتم ما يرام أيها الرئيس.. لقد استطعنا احتلال الجانب الشرقي كله وتراجع الجنود مكتفين بإطلاق النار من على مبعدة.. يبدو أنهم ينتظرون الإمدادات التي تأخرت كثيراً.."
قال الرئيس "لن يطول الوقت قبل أن تصلهم الإمدادات.. أسرعوا في تأمين الجانب الشرقي كله.. سأرسل فرقاً أخرى لإشغال الجنود في جهات أخرى من القصر، حتى نتمكن من الإنفراد بمانيم.."

استغل هارولان انشغال الرئيس مع رجاله في التخطيط للمرحلة القادمة، وتراجع عدة خطوات قبل أن يستدير ويغادر باتجاه قد حفظه جيداً.. لقد أمعن النظر جيداً في الخرائط الخاصة بالممرات السرية، وحفظ طريقه إلى قاعة العرش، وإلى جناح الملك.. الآن، حان وقت المواجهة، وقت الانتقام.. حان الوقت للتخلص من كل هذه الأحلام المرعبة التي يراها كلما أغمض عينيه، تذكره بتلك الليلة وبكل لحظة مأساوية شهدتها فيها.. وبعد أن قطع كل هذه المسافة، ما كان بإمكان أحد إثثاءه عما ينوي فعله..

أما في قاعة العرش فقد كان الوضع متفجراً ومرددين يقف مرتجفاً أمام مانيم وهو يقول "الأوضاع سيئة يا مولاي.. الهيمانين قد استولوا على الجانب الشرقي من القصر كله.. يبدو أن جنودنا غير قادرين على ردعهم والقبض عليهم.."

صاح مانيم هادراً "وما الذي تفعله أنت؟ ألا تخاف على نفسك في حال تمكّن هؤلاء الشرذمة من السيطرة على القصر؟"

قال مرددين قالباً كفيه "لكن مولاي.. إنهم يظهرون في كل مكان وفي أي وقت بدون إنذار.. ويختفون قبل أن نتمكن من اللحاق بهم.. لا نعلم كيف يفعلون هذا ولم نتمكن من الإمساك بأحدهم حتى نستجوبه.."
ضرب مانيم العرش بيده صارخاً "أعذار واهية.. أريد الانتهاء منهم الآن.. لا تقبضوا عليهم.. اقتلوهم.. اقتلوهم فوراً.."

قال مرددين "أمرك مولاي.."

عاد مانيم للصياح "استتفر جميع الجنود في الأحياء القريبة.. لا، في المدينة كلها.. أهم عملية هي القضاء على الثوار في القصر، وبعدها تولّوا أمر البقية في المدينة.."

ركض مرددين لتنفيذ أمر مانيم، بينما تهاوى مانيم على عرشه مغمماً بحلق "كيف؟ كيف يفعلون هذا ويفلتوا من الجنود الأغبياء؟ كيف يستغلّني بهذه الطريقة هؤلاء الهمج؟ لابد أن لبي ناريا يداً في هذا.. الحقيرة تستغل معرفتها بالقصر والمدينة لتقودهم ضدي.."

سمع حركة خافتة خلفه، فاستدار بشيء من التعجب لينظر إلى الجدار الخالي خلف العرش.. لكنه، وفي لحظة خاطفة، رأى ذلك الهيماني بثياب رثة ووجه أسمر، تعلوه نظرة شرسة وجرح طولي في الخد، ينقض عليه وخنجر ناصع في يده.. تراجع مانيم بذعر حتى سقط للخلف ليتفادى بسقطته هذه ضربة موجهة إلى رقبته.. نهض مانيم بسرعة قائلاً بخوف "م.. م.. من أنت؟ من أين أتيت؟"

قال الهيماني بسخرية "من أنا؟ نسيّنتي بهذه السرعة يا جلالة الملك؟"

دقق مانيم النظر في وجهه قبل أن يقول بصوت لم يملك السخرية فيه "أجل، عرفتك.. أنت هارولان، أليس

كذلك؟.. لكن أذكرك وسيم المظهر، ولم أتعرفك بهذا التشوه الذي اعتراك.. ما الذي أصابك يا رجل؟" لم يعلق هارولان رغم الغضب المتنامي في صدره وهو يوجه له ضربة أخرى تفادها مانيم بصعوبة وهو يتراجع، لكنه لم يستطع تفادي اللكمة التي لحقتها وأصابته بقوة على وجهه رمته للوراء بضعة أمتار.. اشتد الألم في فكه وهو الذي لم يحتك مع أحد في صراع يدوي من قبل، ولم يشعر بمثل هذا الألم قط.. لكنه تحامل على نفسه ونهض مثبتاً بصره على هارولان الذي قال وابتسامة ألقت الخوف في نفس مانيم ترتسم على وجهه "هذا الجرح هدية منك.. ولقد احتفظت به ليدكرني بك نائماً ومستيقظاً، وقد عزمت على رده لك أضعافاً مضاعفة.." صاح مانيم وقد توتر "أيها الجنود.."

انقض عليه هارولان بضربة أخرى تلقاها مانيم بذراعه ليطلق صيحة ألم وذعر، فيما أمسكه هارولان بيده الأخرى لئلا يهرب مضيفاً بلهجة مرعبة "أنا مصيرك، قدرك.. سمّه ما شئت.. لكن لن يمكنك الإفلات من قدرك.. أنا الموت المحتوم، ولن تناله إلا على يدي"

ووجه له هارولان الخنجر بضربة أصابت وجه مانيم بجرح عميق صرخ على إثرها متألماً وهو يسقط أرضاً وهارولان يضيف "كيف يمكنني أن أتركك تنعم بحياتك بعدما أذقتني إياه؟ الآن أصبحت تملك جرحاً كالذي أصابني به جنودك.. لكن للأسف لن تملك من الوقت ما تتذكرني فيه برؤية هذا الجرح.. فاليوم هو يومك ونهايتك قد أُرُفت"

صاح مانيم بصوت متألّم "ابتعد أيها الهمجي.. لا تقترب مني.. أيها الجنووود.." انقض عليه هارولان من جديد.. لكن طلقة طاشت قريباً منه جعلته يقف ملتفتاً للوراء.. كان جنديين من المكلفين بحراسة قاعة العرش قد دلفا بعد سماع صياح مانيم، وأحدهما يجري اتصالاً سريعاً مستنفراً بقية الجنود.. فنهض مانيم صارخاً "اقتلوه.. اقتلوه حالاً.."

صوّب الجندي الأول سلاحه نحو هارولان من جديد لكن هارولان رماه بالخنجر بضربة خاطفة لتصيب ذراعه وتطيش رصاصته الثانية، فيما تراجع هارولان بخطوات سريعة خلف العرش ليختفي بلا صوت.. ساد الصمت القاعة تماماً، قبل أن يهبّ مانيم واقفاً ويندفع خلف العرش إلى الحائط الذي تزينه الستائر والأعمدة المذهبة، فتحسسه متلفاً حوله وهو يقول بحلق "يا للوعد.. إنه يعرف طريقاً سرياً يمكنه من التنقل في القصر بلا رادع.."

والتفت إلى الجنديين صائحاً "استدعوا طبيب القصر ليداوي جراحي.. وأريد فرقة كاملة من الجنود في القاعة.. لن يستغلني هؤلاء الهمج مرة أخرى.."

وجلس بعيداً عن العرش تحسباً لخروج أحد الهيمانين من خلفه وهو يضع يده على جرح وجهه الذي تتصبب الدماء منه ويصيح بحلق "واستدعوا المستشار.. لابد أنه يعلم بأمر هذه الممرات السرية.. العجوز الخرف.." أما هارولان فما إن أغلق باب الممر السري خلفه حتى وقف في مكانه يرتجف من الغضب.. كانت رؤية مانيم تفجر ذكريات بشعة في عقله.. لو أن الجنود تأخروا قليلاً، لو أنه استفرد بمانيم قليلاً، لأذاقه من العذاب أضعاف ما عاشه هو تلك الليلة..

سمع صوت أحد رفاقه يقول "كان ما فعلته استعراضياً كثيراً.. طلقة واحدة من سلاحك كانت ستترديه قبل أن يراك.."

قال هارولان بحقد "الموت السريع لا يليق بأشكاله، والرحمة لا يستحقها بتاتاً.."

ثم التفت إلى رفيقه قائلاً "شكراً لمساعدتك لي.. أنا مدين لك.."

ربت الرجل على كتفه قائلاً "لم أطق صبراً وأنا أراك تنفصل عن البقية فلحقتك.. لو أنك خرجت إلى القاعة بمفردك لما وجدت سبيلاً للعودة لو لم أحرص على انتظارك.."

غمغم هارولان "لقد عقدت العزم ألا أغادر قبل أن أرى جثة مانيم أمامي، حتى لو كان معنى هذا موتي أنا.. لكن يبدو أن وقت ذلك الوغد لم يحن بعد.."

عاد الرجل يربت على كتفه، ثم استدار عائداً إلى البقية تاركاً هارولان خلفه.. قبض هارولان بقوة على القلادة الفضية الصغيرة المعلقة في عنقه وكأنه يستمد منها القوة، ونظر إلى سلاحه الذي كاد يفرغ مسبقاً في مواجهاتهم مع الجنود.. ثم قبض عليه بقوة عائداً إلى رفاقه الذين تركهم دون استئذان..

رغم كل الضجة الدائرة في القصر، ورغم صراخ الجنود وأصوات الطلقات والانفجارات التي لم تتوقف منذ مدة، إلا أن الهدوء والسكينة كانا يعمّان جناح الملكة الأم.. حيث جسدها مسجىً في فراشها يلفها صمت الموت، وقربها جوين تجلس ذاهلة ودموعها تسيل على وجهها بلا انقطاع.. ومن بين دموعها، تذكرت تصرف بي ناريا بتعجب.. فرغم دموعها التي سالت أنهاراً حزناً على أمها الراحلة، إلا أنها سرعان ما تماكنت نفسها ومسحت دموعها بحزم.. شعرت أن بي ناريا قد أجبرت نفسها على إرجاء حزنها، وغادرت الجناح عبر الممر السري بتصميم لا يردعه شيء..

مسحت جوين دموعها التي عادت تسيل من جديد وهي تغمغم بصوت مرتجف "لو كانت تدري مولاتي الملكة أن حزن ابنتها لن يدوم عليها دقائق معدودة، لربما ماتت كمداً.."

انتبهت للتعبير الذي استخدمته، فضحكت بصوت مرتجف قبل أن تطرق باكية من جديد..

بعد مدة طالت والهدوء لا يكسره شيء في الجناح، سمعت جوين أقدام الجنود تقترب من الباب وطرقات قوية تتعالى في المكان.. فتجاهلتها وهي تعضّ على شفيتها بحنق لتعديهم على خلوتها الحزينة.. لكن الطرقات لم تتوقف بل تعالت أكثر لمدة محدودة، ثم فوجئت بالباب يفتح بقوة ويدلف منه عدد من الجنود وأولهم يقول "مولاتي الملكة.. عذراً للمقاطعة..."

وقفت جوين واتجهت نحوه قائلة بغضب "من سمح لكم بدخول الجناح دون إذن؟"

قال الجندي بصرامة "إنها أوامر الملك.. لقد أمر بتفتيش القصر كاملاً دون تمييز"

ونظر خلفها مضيقاً "هل مولاتي الملكة نائمة؟ لن نستغرق دقائق في التفتيش وسنغادر بعدها دون أن نمسّ"

شيئاً.."

صاحت جوين بغضب "مولاتك ماتت.. لقد ماتت الملكة الأم وحيدة تعيسة بسبب الملك.. فما الذي تستطيعون فعله الآن؟"

ودفعته بقوة للخلف وهي تصرخ "اخرجوا.. لا يحق لكم تدنيس جناحها.. اخرجوا ودعوها ترقد في سلام بعد أن حرمتوها إياه في حياتها.."

بدت صدمة الخبر واضحة على الجميع وهم صامتون، وتراجعوا معقودي الألسنة حتى خرجوا من الجناح تاركين جوين ترتجف غضبى في مكانها، قبل أن تعود لكرسيها السابق وترمي جسدها عليه فتعود دموعها لتسيل من جديد..

انطلقت فرقة من الجنود قادمين من أحد أجنحة القصر إلى القسم الشرقي من القصر إطاعة لأوامر نائب القائد.. وفي الطريق التقوا ببضع وصيفات ممن يقضين الليل في القصر وهن يقفن مرعوبات في أحد الممرات.. فاستوقفتهم إحدى الوصيفات متسائلة بقلق "أصحيح ما سمعناه؟ هل تمكن الثوار من التسلل إلى القصر؟" أجابها أحد الجنود بشيء من الخشونة "لا شأن لك بهذا.. ادخلن إلى مأواكن وكفاكن هذا الفضول.."

قالت وصيفة أخرى برعب "هذا ليس فضولاً.. ما الذي سيحدث لنا لو تمكن الثوار من هيمانيا بالاستيلاء على القصر؟ هل سيأخذوننا سبايا؟ أنا لا أريد هذا.. أريد العودة لمنزلي الآن.."

صاح الجندي بصرامة "كفي عن هذا السخف.. كيف يمكن للهيمانيين أن يقدروا على القضاء على كل الجنود في المدينة؟ دعي عنك هذه المخاوف وادخلن ولا تخرجن الآن.."

قال جندي آخر بثقة وهو يرى علامات القلق على وجوههن "الملك لا يمكن أن ينهزم أمام شرذمة حقيرة كهذه.."

تعالى صوت خافت خلفهم يقول "بل ربما هذه الشرذمة هي أفضل لنا من حاكم ظالم كمانيم.."

اجتمعت النظرات المستنكرة عند وجه جندي يقف آخرهم مطرق برأسه، فقال له الجندي الأول بصرامة وحدة "ماذا تقصد يا هذا؟"

قال الجندي وقد تجرأ لرفع صوته أكثر "أعني أن حاكماً ظالماً لا يمكن أن يجلب الخير لهذا الكوكب.. ومانيم له تاريخ طويل غير مشرف في إقليم هيمانيا.. فلماذا لجأ الهيمانيون لنقل ثورتهم الآن إلى العاصمة ولم يفعلوا ذلك في حكم الملك السابق؟.."

سأله الجندي الأول بسخرية "وما الجواب أيها المتذاكي؟.."

قال الجندي شاداً جسده "لأن مانيم تاريخه معروف وأسود في هيمانيا عندما كان مجرد والٍ لها، فكيف عندما يكون حاكماً للمملكة كلها؟ أي عدل نرتجيه في حكمه هذا؟"

لكمه الجندي على كتفه بقوة قائلاً "ما هذه الوقاحة؟ سيتم استجوابك على هذا وستحاكم على عدم ولائك.."

اندفع جندي آخر يقول بدوره "لماذا؟.. لأنه قال الحقيقة التي نعرفها جميعاً ونتعامى عنها؟ هل تظن أن مانيم

سيتحلى بالطيبة الآن ويبدأ بإسباغ العدل بين الجميع؟ لم لا تقيق من هذا الولاء الأعمى؟"
استشاط الجندي غضباً وهو يصيح بهما "ما بالكما؟ أهذا وقت التشكيك في صحة ولاية الملك وفي قراراته؟"
نظر إليه بقية الجنود والشك يبدو جلياً في وجوههم، قبل أن يغمغم أحدهم "لو كنت أفكر بمصلحة وطني.. لو
كان ولأني لوطني وليس لحاكم بعينه، فأنا سأختار الثوار قطعاً.."
رفع الجندي الغاضب سلاحه في وجهه وهو يقول بصرامة "يبدو أنني سأأخذ إجراءً صارماً تجاه كل من لا
يثبت ولاؤه للملك.."
فوجيء بارتفاع أسلحة بقية الجنود في وجهه وسط شهقات الوصيفات.. بلع ريقه بصعوبة وهو ينظر إليهم قبل
أن يقول بصوت متحشرج "أهذا هو العدل الذي تسعون إليه؟"
قال الجندي الذي كان الأول في إبداء رأيه "العدل أن يُسمح لنا باتخاذ قرارنا دون الرجوع لأوامر من أحد..
قبل أن نكون جنوداً فنحن مواطنون لنا أهل وأقارب يهمننا ألا يصيبهم مكروه.. وفي حكم مانيم لم يكن أحدنا
ينام قرير العين دون الخوف من قرار متعسف يصدر بحقه"
ثم التفت إلى البقية قائلاً "أنا ذاهب للثوار.. من يرد الانضمام إليّ فمرحباً به.."
واستدار مبتعداً بصمت، فلحقه بقية الجنود في الفرقة تاركين الجندي الغاضب يجز على أسنانه بغيظ، ثم قالت
إحدى الوصيفات بخفوت "ألست توافقهم الرأي؟ سمعت حديثاً يتردد في أحياء العاصمة أن هؤلاء الثوار يريدون
إنشاء مجلس حكم.. إذن هدفهم ليس الإطاحة بمانيم واحتلال مكانه دون وجه حق.."
زفر الجندي بحنق وأصابه تشدّد على سلاحه محاولاً اتخاذ قراره، ثم بدون كلمة رحل خلف رفاقه تاركاً
الوصيفات ينظرن إلى بعضهن بصمت، قبل أن تقول إحداهن "أتعلمن؟ لا ينبغي لنا أن نقبع في مخدعنا
صامتات بانتظار أن يقرر شخص ما مصيرنا.. سأذهب لتحديد مصيري بنفسني.. فهل أنتن معي؟"
علت الدهشة وجوه الباقيات وإحداهن تقول "هل أنت واثقة من هؤلاء الثوار؟"
أجابتها "على الأقل أنا واثقة مما هو عليه مانيم.. وأي بديل هو بالتأكيد أكثر إشراقاً.."
صمتن وعيونهن حيرى، لكنهن وافقنها بعد لحظات وإحداهن تتساءل "وما العمل وسط هذه المعارك التي لا قبل
لنا بها؟"
ابتسمت الوصيفة قائلة "على الأقل، فلنحاول جس نبض باقي الجنود بالنسبة للأمر.. ونرى إن كنا لسنا
الوحيات الراغبات بالتغيير.."
وانطلقت في طريقها والأخريات يتبعنها بصمت تام..

تطلعت بي ناريا في وجوه الجنود التسعة عشر الذين وجدتهم ينتظرونها في جناحها، والذين جاؤوا بتوصية من
جوين وتعهدهم بأنهم موالون لها.. كانت أصوات المعارك الدائرة في أجزاء مختلفة من القصر تصل لسمعها

خافثة لبعدها عن جناحها، فيما حرصت هي على إبقاء الجناح مظلماً إلا من نور خافت على مبعده لكي لا ينكشف أمر تواجدها مع الجنود لأحد في الخارج.. ورغم الإضاءة الخافتة، إلا أن عيني بي ناريا بدتا حمراوين لامعتين بدموع عزيزة على النزول.. وشفتاها مزمومتان وكأنها تحاول السيطرة على رجفتها لئلا تبدو للعيان.. كانت بي ناريا قد غادرت جناح الملكة الأم يدفعها عزمها للاستمرار.. فحزنها كان هائلاً، إلا أن عزيمتها أبت أن تدع فرصتها الوحيدة للنجاح تفلت من يديها.. قد تكون هذه قسوة منها، لكنها موقنة أن أمها الملكة لم تكن لترض بأن تراها تفشل بعد كل المجهود والمصائب التي مرت بها لأجل حزن مهما كان حجمه.. خرجت من الجناح وهي تطوي حزنها في صدرها بإرادتها، وإن لم يفتها إحضار الخرائط الخاصة بالممرات السرية أملاً في أن تكون عوناً لها في قلب المعركة ضد الثوار وضد مانيم معاً..

وقفت بي ناريا أمام الجنود متألمة ملامحهم بحثاً عن شبح خيانة قد تبدر من أحدهم، بعدما حدث مع ذلك الجندي في الغابة القريبة من يناساً.. وقد أدرك أحد الجنود ذلك فقال لها وهو يركع أمامها خافضاً رأسه "مولاتي.. نحن مخلصون لك ولن نخونك أبداً.. وفاء لك وللملك الراحل الذي أسبغ علينا فضلاً عظيماً.."

ابتسمت بي ناريا ابتسامة محدودة معلقة "وجزائكم عندي سيكون كبيراً بعد أن أعود للعرش.. لا يمكن أن أنسى من ساندوني وسط كل تلك الخيانات التي صدمتني.. أنتم أوفياء وستنالون ما تستحقون على وفائكم الرائع هذا.."

ثم جلست على كرسي قريب سائلة "لكن عددكم لا يكفي لقلب المعركة لصالحنا.. هل يمكنكم ضمّ جند آخرين إليكم؟"

أجابها الجندي "سنحاول يا مولاتي.. وإن كنت أظن هذا عسير التحقيق الآن"

قطبت متسائلة بصرامة "ماذا تقصد؟ كيف تجزم بذلك دون أن تجرب؟"

قال الجندي بتوتر "العديد من جنودنا قد انضموا للثوار.. لقد شهدت بنفسني فرقة كاملة تخلت عن موقعها وانضمت للثوار في قتالهم الدائر في القسم الشرقي.."

اتسعت عيناها بدهشة وهي تقول "الجنود؟ كيف انضموا للثوار؟ ما الذي دفعهم لذلك؟"

غمغم جندي آخر "ربما لمسوا فيهم ما لم يجدوه في حكم مانيم.. الكثير من الجنود قد واجهوا غضب الملك وقراراته التعسفية في الأسابيع الماضية، ولا أحد منا أصبح يأمن على أهله وأحبابه من شره.."

قطبت بي ناريا معلقة "وهل فعلتُ بكم الشيء ذاته أيام حكمي؟ لقد تحرّيت العدل ما استطعت.. ورغم اتهام الجميع لي بأني قاسية القلب، إلا أنني لم أسعى لظلم أحد ولن أفعل.."

تطلع الجنود لبعضهم البعض قبل أن يقول أحدهم بتردد "لكنهم يعدون بإنشاء مجلس للحكم.. وهذا أضمن للعدل وإحقاق الحق من حكم شخص واحد.."

اتسعت عيناها وهي تقول بحدة "ماذا تعني بهذا؟"

تنفس الجندي بعمق قبل أن يقول قاطعاً تردده "معناه أننا، كالكثير غيرنا، نودّ أن نشهد العدل في كوكبنا.. ولو وقفنا في وجه الثورة الآن فقد يعني هذا خضوعنا للعقاب أو استبعادنا من القصر بعد نجاحها في إقصاء

مانيم"

قالت بي ناريا بحنق "هل جزمتم بنجاح الثورة منذ الآن؟ مازالت المعركة في بدايتها"

قال جندي آخر "لكننا نستطيع تبين الطرف الرابع من الخاسر منذ الآن.."

وقفت بي ناريا تنتظر إليهم ورجفة غضب تحتل جسدها كله، ثم قالت بثورة مكتومة "هل معنى هذا أنكم تفضلون الثوار الهيمانين على ابنة الملك السابق؟ أنا الملكة، ولم أكن لأغادر منصبي هذا لولا خداع مانيم وغدره.. ألم تقسموا على الولاء لي؟"

نظر الجنود إلى بعضهم البعض، قبل أن يقول أولهم محنياً رأسه "لن أجادل مولاتي في كونها ابنة الملك السابق أم لا.. لكن...."

قاطعته صفعه دوّت على وجهه بقوة وببي ناريا تنتظر إليه بغضب هائل.. لكنه لم يفعل وهو يكتّم ثورة اعتملت في أعماقه، بل قال بصوت حاول جعله عادياً "يحق لك فعل ما تريد، لكنه لن يغير الحقائق يا مولاتي.. لقد التقيت ببعض الثوار بالفعل.. إنهم لا يطمعون بالاستيلاء على العرش.. يريدون أن يتولى كل إقليم منصباً في مجلس الحكم كي يضمن ألا يظلم أحد أي إقليم كما حدث مع هيمانيا سابقاً.. أليس هذا هو العدل بعينه؟ إن لم يكن كذلك فما الذي تعدينا به يا مولاتي؟"

قالت بي ناريا بغضب "لا يحق لك مجادلتي.. لا يحق لك التشكيك في عدالتي وحكمي.. أنا..."

قاطعها الجندي شاداً جسده "بل يحق لي ذلك.. كأني فرد من هذه المملكة يبحث عن العدل والأمن وضمان حقوقه.."

اتسعت عيناها بذهول وهي تلمح نظرات الجنود الآخرين التي وافقته على كل كلمة قالها.. شعرت أن حلقة قد جفّ ولسانها يبس فما عادت تقدر على مجادلته بكلمه.. وإزاء صمتها الذي طال انحنى الجندي لها باحترام واضح وهو يقول "سنعمل على ألا يصيبك مكروه، وفاء للملك السابق.. اعذري خيانتنا هذه إن كنت تعدينا كذلك.."

وغادر الجناح بصمت فتبعه بقية الجنود تاركين بي ناريا تنهار على أقرب كرسي وجسدها لا يكف عن الارتجاف.. أهذا ما آل إليه حالها بعد كل هذا الجهد الذي بذلته للعودة؟ هل ربح الثوار المعركة ضدها وأثبتوا أن حكمها كان خاطئاً منذ البداية؟.. هل تستسلم وتترك الأمر لهم بعد كل ما قاسته وتعذبت لأجله حتى تصل حيث هي الآن؟ إن فقدت العرش، فما الذي سيعوضها عن كل ما فقدته؟ ما الذي سيهدّي عذابها ويلئم جراحها ويصبرها على كل ما جرى لها؟ بدءاً بحياتها التي انهارت، وأمها التي فقدتها في أشد حاجتها لها، وليس انتهاءً بهارولان الذي نبذها.. أما تكفيها كل هذه الجراح؟ أما يكفيها كل هذا الألم؟..

حاولت تمالك نفسها واسترداد عزمها، لكنها لم تقدر على الإتيان بحركة وهي تبقى في جناحها وحيدة والمرارة تعود لها بعد أن فقدت كل شيء.. كل شيء كانت تطمح إليه في هذا العالم قد آل لغيرها، وهي... لا تعلم إلا ما سيؤول بها الحال..

كان رئيس الثوار مستغرقاً بحديث مع أحد رجاله وهو يلقي إليه بتعليماته حول المرحلة القادمة من الخطة، عندما جاءه رجل آخر وسارع ليقول فور اقترابه "لديّ أنباء ساره.. لقد تحول سير المعركة تماماً لصالحنا" تطلع إليه من بقي من الثوار والرئيس يتساءل "أرجو أن يكون تفاؤلك محقاً.. ما الذي حدث؟" قال الرجل بلهفة "الجنود.. عدة فرق منهم قد أعلنت استسلامها ورغبتها الانضمام إلينا.. وقد بدأوا في مشاركتنا معاركنا بالفعل"

علا الارتياح وجوه الجميع وأحدهم يقول "بهذا سنصل للنصر أسرع مما توقعنا" غمغم الرئيس مقطباً "ولم لا تكون هذه خدعة؟ لا يقنعني هذا المنطق ولا أظن أن الجنود سيقاتلون رفاقهم بهذه السهولة"

قال الرجل "لقد أبدوا ضيقهم من حكم مانيم ورغبتهم في تحقيق ما نطمح إليه، وهو تشكيل مجلس للحكم.." قال الرئيس "لكننا لا نملك ضمانات على صدقهم إلا قولهم، وربما كانوا مدسوسين علينا رغبة بزعتنا من الداخل بدل الاكتفاء بمقاتلتنا من الخارج.." فقال الرجل بحيرة "وما الذي تقترح علينا فعله؟"

استغرق الرئيس بالتفكير لمدة وهم صامتون ينتظرون حكمه، ثم رفع رأسه قائلاً "إن كانوا حقاً يرغبون بمساعدتنا على الإطاحة بمانيم، فليتنحوا من القتال.. لا نريد تدخلهم في المعارك، وابتعادهم عنها كفيل بترجيح كفة الأمور لصالحنا.. وحاذروا من دلهم على أيّ من مداخل الممرات السرية.. هم ليسوا أعداءنا وليسوا رفاقنا أيضاً.. فعاملوهم على هذا الأساس.."

انطلق الرجل لتنفيذ أمره، بينما التفت الرئيس لرجلين آخرين من رجاله قائلاً "اهتموا أنتم بأداء ما أوكلته إليكم.. أي تأخير يحسب علينا، ويعني وصول المزيد من الإمدادات للجنود وجعل مهمتنا أصعب وأكثر شراسة" هذا رأسيهما موافقين، قبل أن يبتعدا بدوريهما في طريق آخر..

في تلك الأثناء، كان مردين معسكراً في غرفة الاتصالات الخاصة بالقصر وهو يجري اتصالاته بين فرق الجنود المنتشرة في المدينة محاولاً الحصول على أية أخبار جيدة، وملقياً بأوامره كما أوصاه مانيم للتغلب على الثورات التي عمّت أنحاء عدة من المدينة.. وبين اتصال وآخر كان يجلس مرتجفاً وهو يجفف عرقه الغزير وسط نظرات بعض الجنود الصامته، قبل أن يتجرأ أحدهم ليسأل "سيدي.. الثوار يتزايدون في القصر أكثر فأكثر.. عدة أقسام من القصر قد اشتعلت بمعارك بينهم وبين جنودنا.. أليس من الأسلم أن نسحب جنودنا ليعودوا إلى القصر ويحاولوا القضاء على من هم فيه من الثوار؟"

قال مردين بعصبية "وهذا ما أحاول فعله منذ ساعة.. القائد العام الأحمق مصرّ على أنه من الخطأ الانسحاب من المدينة وتسليمها للثوار، لأن ذلك يعني من وجهة نظره أن نكون محاصرين في القصر" ظل الجنود صامتين بتوتر وهم بحيرة من كل الأحداث التي تعصف بليلتهم هذه، بينما اندفع مردين للاتصال

بالقائد العام مرة أخرى ليقول بصراخ حاد "أين أنت أيها القائد.. ألم تقل إنك قادم لإدارة العمليات في القصر؟ يكاد الثوار يستولون على القصر وأنت متكاسل عن أداء عملك؟"

قال القائد العام "أتسمي ما أفعله منذ بداية هذه الليلة تكاسلاً؟ ألا يكفي تشنت أوامر الملك بين مقاتلة الثوار في المدينة وبين حماية قصره وقاعة عرشه؟ إنني أفعل المستحيل لموازنة الأمور.. ويكفي أن المدينة كلها تبدو قد انقلبت علينا دون سابق إنذار" صاح مردين "ماذا تعني؟"

قال القائد "لقد اشتبك جنودنا مع عدد من سكان يناساً في أحياء كثيرة من المدينة.. لقد ظهر الرجال فجأة من بين الأزقة وفوق المنازل وداهموا جنودنا وهم منشغلون في مقاتلة الثوار، وهذا تسبب في إسقاط العديد من الفرق وأسر آخرين.. الأمر يزداد صعوبة ولا يعينني الوضع المشتعل في القصر بشيء" قال مردين بحق "سيأتي دور هؤلاء الخونة لاحقاً.. عد أنت إلى هنا وحاول السيطرة على الأمور في القصر.. لا نريد للملك أن يتضرر بشيء وسط هذه المعمة"

قال القائد زافراً "أنا قريب بالفعل.. إن هي دقائق حتى....."

قطع حديثه شوشرة مفاجئة تبعها صوت انفجارات هزت عدة أجزاء من القصر.. فهب مردين بخوف وهو يصيح "ما الذي جرى؟"

استغرق الرجال حوله في إجراء اتصالاتهم بأقسام القصر بحثاً عن سبب الانفجارات المتتالية، ثم التفت إليه أحد الرجال قائلاً بتوتر "سيدي.. لقد تم تفجير الجسر عند البوابة الرئيسية تماماً.."

قال آخر بسرعة "بل لقد تم تفجير جميع الجسور المؤدية للمدينة.. القصر أصبح معزولاً تماماً.."

شحب وجه مردين قبل أن يصيح بعصبية "وأين القائد العام هذا؟"

قال الأول بتوتر أشد "لقد أبلغني الرجال عند البوابة الرئيسية أن مركبة القائد كانت تعبر الجسر في اللحظة التي حدث فيها الانفجار.. والآن، لم يبق لها أثر ولا لأحد ممن كانوا فيها"

اتسعت عينا مردين بصدمة، ثم قال عاضاً على أصابعه "والآن.. نجح الثوار في إحراز نصر قاتل علينا.. يجب على الجنود الاكتفاء بمن هم في القصر، إذ أصبح وصول الإمدادات إلينا أمراً مستحيلاً.."

وقال لأحد الجنود بعصبية "اذهب إلى قواد الطائرات الملكية في المهابط الخاصة بها.. فليذهبوا بطائراتهم إلى مواقع الجنود وليحضروا الإمدادات من الجنود والمعدات جواً.. هذا هو السبيل الوحيد إن كنا نريد النصر"

سمع صوتاً من خلفه يقول "بل ليبق كل منكم في موقعه دون حراك.."

التفتوا ليروا ما يزيد على العشرة من رجال الثورة شاهرين أسلحتهم في وجوه الجميع وأحدهم يضيف "هذا إن رغبتكم بسلامة أعناقكم.."

شحب وجه مردين بذعر والعرق يتصبب على وجهه.. ثم رفع يديه عالياً وهو يصيح بذل "أنا استسلم.. لا تؤذوني.. أرجوكم"

رفع بقية الجنود الذين لا يزيدون على أربع أيديهم بدورهم وهم يلقون بنظرات الحنق والاشمئزاز على مردين

الذي وقف يرتجف في موقعه.. بينما سارع الثوار لتقييدهم في جانب المكان، وأحدهم يتقدم من جهاز الاتصال فيضع السماعات على أذنه لينصت لما يتناقله الجنود.. ولم يكن ما يسمعه مقلقاً أبداً..

صرخ مانيم في نائب القائد "ماذا قلت؟"

قال النائب بتوتر "مولاي.. لقد تمكن الثوار من تفجير الجسور المؤدية إلى القصر.. وهذا قد أطاح بالعديد من جنودنا الذين كانوا يحرسونها، وقطع الدرب على الإمدادات من الوصول إلينا من مناطق المدينة المختلفة.."
ثم أضاف بأسف "ولقد أصاب الحادث سيارة القائد العام الذي كان على وشك عبور الجسر الرئيسي.. فأودى بحياته ومن معه.."

قال مانيم بصرامة "إذن أعينك أنت قائداً عاماً للجنود.. اعمل على استبدال الجسور بأي طريقة ممكنة ليتمكن الجنود من الوصول إلى القصر والقضاء على هؤلاء الثوار.."

نظر النائب إلى مانيم بنظرة لم يفهمها الأخير، قبل أن يخفض رأسه مغمغماً "أمر مولاي.."

فأضاف مانيم دون اهتمام "وأحضر لي خمس فرق من الجنود لحماية قاعة العرش وحمايتي.. الآن، بعد أن تمكن الثوار من السيطرة على عدة مناطق من القصر وشغلوا الجنود بمعارك معهم، سيكون هدفهم التالي هو قاعة العرش هذه.. لكن لن أمكنهم من النيل مني بسهولة.."

أحنى النائب رأسه موافقاً وسارع لتنفيذ أمره، فيما جلس مانيم بعيداً عن عرشه خوفاً من مباغته أحد له وهو يهز قدمه بعصبية.. أما النائب، فرغم الترقية التي جاءتته دون أن يحلم بها، فقد كان السخط يملؤه لتجاهل مانيم القائد السابق وعدم شعوره حتى ببعض الأسف عليه ولو للحظات.. أهذا جزاء من يعمل عند الملك طوال تلك المدة التي قضها القائد العام في خدمته وخدمة من سبقوه؟ لا يحظى حتى بلحظة حزن من سعادته.. أهذه هي نهاية الإخلاص في العمل؟..

وفي وسط الممرات السرية، التقى عدد من رجال الثورة القادمين من أرجاء مختلفة من القصر برئيسهم وأحدهم يقول "لقد نجحنا في السيطرة على القسم الشرقي تماماً وانضم من فيه من الجنود إلينا، ومن بقي على إخلاصه لمانيم تراجع مكتفياً بالقتال من بعد دون تأثير يذكر على رجالنا.."

قال الآخر "ونحن نجحنا في السيطرة على مداخل القصر.. تبعاً لخطتك فجّرنا الجسور كلها، واستولينا على المواقع حيث تراجع الجنود الذين وجدوا أنفسهم محصورين بينا وبين الجسور المحطمة ومن خلفها القناة العميقة.. فمنهم من استسلم وتخلّى عن سلاحه، ومنهم من قفز في القناة بعد معركة شبيهة يائسة.."
أوماً الرئيس برضا وقال "وماذا عن باقي المناطق؟"

قال رجل آخر "نحن في القسم الغربي نخوض معركة حامية مع الجنود.. إذ يبدو أن عدداً من الفرق قد هبّت لمساعدة رفاقهم هناك وهم يقاتلوننا بشراسة.. لكننا لم نستسلم لهم بعد.. نحتاج لمزيد من الوقت والرجال حتى

نفلج بتأمين القسم تماماً..”

قال رجل رابع “أما القسم الجنوبي فهو من أسهل المناطق.. عندما بدأنا هجومنا جابهنا قتالاً خفيفاً من بعض الجنود.. لكن العديد منهم قد رموا أسلحتهم وانضموا لنا على الفور، وكأنهم كانوا ينتظروننا”
نظر له الرئيس بدهشة مستفسراً، فقال الرجل موضحاً “بعد سؤالهم، أخبرونا أن عدداً من الجنود وأيضاً الوصيفات قد داروا بين مختلف الأقسام في القصر محاولين ضم بقية الجنود إلى الثوار.. وقد أتى عملهم بثمار كبيرة الفائدة لنا..”

قبل أن يعلق الرئيس أتاها أحد رجاله قائلاً “أيها الرئيس.. لقد التقيت بعدد من قواد فرق الجنود الذين أعلموني برغبتهم مقابلتك.. ولقد تخلصوا من أسلحتهم ضماناً لأنهم لا يريدون شراً بنا”
قال هارولان الذي كان واقفاً يستمع إليهم بصمت “قد تكون هذه خدعة.. لا يمكن أن ندلهم على الممرات السرية دون حذر..”

علق الرئيس قائلاً “في هذه المرحلة، لا يضيرنا ذلك.. لقد تجاوزنا مرحلة الخطر وغدت خطواتنا أكثر ثباتاً.. بقيت مرحلة أخيرة فقط ولن يستطيعوا إيقافنا مهما فعلوا”
وأشار لرجله قائلاً “أحضركم إلي.. وتأكد أنهم غير مسلحون”
عاد الرجل أدراجه بينما قال هارولان “تلك ثقة زائدة لم أعدها منك”
فابتسم الرئيس معلقاً “لأن اللحظة الأخيرة قد حانت بأسرع مما توقعت.. والفضل لجهودكم جميعاً.. وجهود أبناء يناساً الشجعان..”
نظر إليه هارولان متسائلاً “ماذا تعني؟”

قال الرئيس وهو يقف “أعني أن الوقت قد حان للتوجه إلى قاعة العرش.. ومواجهة الجالس عليه بحزم”
قبض هارولان بيده على خنجره وهو يخفي انفعاله، عندما سمع الرئيس يقول له “ولا أريد أي تصرف شخصي منك.. ابق مع الجميع ولا تتهور بفعل تقضي نحبك فيه..”

لم يعلق هارولان بكلمة والرئيس يقول لرجاله “عودوا إلى مواقعكم وحاولوا إلهاء من بقي من الجنود أطول وقت ممكن.. لا نريد المزيد منهم أن يداهمونا في القاعة قبل أن نتمكن من القبض على مانيم”
اندفع الرجال لأداء مهامهم، بينما وقف الرئيس بصمت ومعه هارولان وما يقارب العشرة من الثوار في انتظار قواد الفرق.. وبعدها سيتم إعلان بداية اللحظات الأخيرة للثورة، والتي طال انتظارهم لها..
وفي قاعة العرش، هتف مانيم في جهاز الاتصال مخاطباً النائب السابق “أين أنت؟ وأين الجنود الذين وعدت بإحضارهم إلي؟ لو حصل لي مكروه فأنت ستحاسب على هذا..”
قال النائب “مولاي.. إحضار هذا العدد الكبير من الفرق يعني أن نضد عف دفاعاتنا في الأقسام الأخرى من القصر..”

قال مانيم بعصبية “لا يهمني.. لا أريد أن يغافلني الهمج في القاعة بينما أنتم تتسلون ببعض الألعاب في القصر.. فلتحضركم لي حالاً.. أسمع؟”

سمع مانيم صوتاً من خلفه يقول "فات الأوان على هذا.."

هبّ مانيم واقفاً بفزع، ليرى جماعة من الثوار الذين اندفعوا من فتحة الجدار خلف عرشه ليحيطوا به وبالقاعة.. لكن سرعان ما تمالك انفعاله وقال بابتسامة ساخرة "كنت أنتظركم منذ فترة يا سادة.. وقد مللت الانتظار حقاً.."

وضغط على جهاز الاتصال قائلاً "أيها الجنود.."

قبل أن يتحرك أي من الثوار رأوا جمعاً من الجنود يظهر من خلف الأعمدة والأثاث الموزع في القاعة، بالإضافة إلى المزيد منهم اندفعوا من باب القاعة ليحاصروا الثوار.. ظل مانيم ينظر لهم بسخريّة شديدة للمأزق الذي وجدوا أنفسهم فيه، لكن لم يبادل الثوار إلا نظرات واثقة حادة.. فقطب مانيم قائلاً "إن أنتم لا تخشون الموقف الذي أنتم فيه؟"

لاحظ وجود بعض من قواد جنود القصر بين الثوار ووجوههم تحمل تحدياً وتصميماً على إسقاطه، فقال بمقت "أنتم أيضاً؟ سيكون حسابكم عسيراً على يدي.. لقد جئتم على أنفسكم، وعلى أهليكم كذلك، بنبذ مليكم وعصيانه.."

لاح شبح ابتسامة على وجه رئيس الثوار لقوله مما غاظه أكثر، فصرخ في الجنود من خلفه "أطلقوا النار.. اقتلوهم.."

لم يسمع صدى طلقة واحدة في القاعة والسكون يخيم على المكان، فالتفت إلى جنوده ليراهم يتبادلون النظرات المترددة، فعاد يصرخ فيهم وهو يتراجع "أيها الجنود.. أمرتكم بإطلاق النيران.."

رأى قائد الفرقة المسؤولة عن حماية القاعة يخفض سلاحه وهو يقول بحزم "لا.. لن نفعل.."

نظر لهم بدهشة ليرى بقية الجنود يخفضون أسلحتهم بدورهم والقائد يضيف "لن نطلق في وجوه رفاقنا أبداً.. هتف مانيم بذهول "تعصون أمر ملككم؟"

رأى نائب القائد السابق يدلف القاعة في تلك اللحظة مع مجموعة أخرى من الجنود.. فصاح فيه مانيم "أيها القائد.. ألق القبض على هؤلاء الخونة.. واقتل الثوار كلهم.. الآن.."

تطلع النائب السابق في وجوه جنوده في القاعة.. قبل أن يقول مواجهاً مانيم بحزم "لا.. لن يحدث هذا.."

ازداد ذهول مانيم وهو يرى الجنود جميعاً يطيعون أمر النائب بصمت، فصاح بحق "أنا قد نصبتك قائداً للجنود.. لم تكن تحلم بهذا قط.. أهذا جزاء الجميل؟"

قال النائب بهزء "بل هذا جزاء خيانتك.. لقد أثبت لي أن العمل عندك بإخلاص لا يساوي ذرة تراب.."

قال رئيس الثوار "استسلم يا مانيم.. الجنود قد تخلوا عنك.. وما من رجل عاقل سيتشبث بملك ظالم لا أمان له.. أنت أوقعت نفسك بنفسك عندما هددت جنودك دون اعتبار لرفاقهم الواقفين خلفك.."

رأى مانيم هارولان يقترب منه رافعاً سلاحه ونظراته الثائرة أثارت فزعاً في قلب مانيم الذي وجد نفسه بين مطرقة الثوار وسندان الجنود.. فدار بعينه في المكان وهو يقول جازاً على أسنانه "تخليتم عني أيها الأوغاد؟ نبذتم ملككم لأجل حفنة من الحثالة الهيمانين؟"

هجم عليه هارولان مستخدماً خنجره عوضاً عن السلاح في يده، لكن مانيم ترك الضربة تصيب معطفه الذي تخلص عنه بسرعة ورماه على هارولان ليكسب بضع ثوانٍ اندفع فيها لدخل الممر السري القريب منه والذي غفل عنه الثوار.. حاول أحد الثوار اعتراضه لكن مانيم راوغه بسهولة لضالة جسده رغم طوله والخوف يزيد سرعته.. كما لم يهتم للطلقات التي تناثرت حوله وإحداها تصيب ذراعه، ولما وصل إلى المدخل ورأى أحد الثوار يقف قربه بانتظار البقية هجم عليه مانيم ولكمه بأقوى ما يستطيع.. لم تكن لكمته كافية لإسقاط الهيماني لكنها تسببت في اختلال توازنه للحظة استغلها مانيم في ركله بقوة ليسقط خارج الممر وسط القاعة، فيما سارع مانيم بإغلاق الباب خلفه.. وعلى الفور انطلق ركضاً عبر الممرات وهو يدرك أن الثوار سيملؤون المكان خلال لحظات، وحاول مقارنة الممرات التي يعبرها بممرات القصر التي يحفظها منذ صغره وهو يغمم جازاً على أسنانه "الأوغاد.. كيف تمكنوا من فعل هذا كله؟ بل كيف وجدت بي ناريا هذه الممرات السرية دون علمي؟ لا يمكن أن أسمح لهم بالتغلب علي.. ليس أنا.."

وفي القاعة، قال هارولان للرئيس "افتح البوابة.. يجب أن ألحق به قبل أن يهرب.."

قال الرئيس هازاً رأسه "القلادة تركتها مع الخرائط وسط الممرات.. لأنني خشيت أن يستولي عليها مانيم.. لكن لا تقلق، لا أعتقد أنه يعرف طريقة فتح الممرات من الداخل"

والتفت إلى أحد رجاله قائلاً "ابحث عن بي ناريا وخذ القلادة الأخرى منها.. يجب أن ندخل الممرات ونقبض عليه قبل أن يقوم بأي فعل متهور"

قبل أن يتحرك أي من رجاله اندفع هارولان خارجاً من القاعة وسط الجنود الذين لم يتحركوا من موقعهم أو يعترضوا طريقه.. أما الرئيس فقد اقترب من نائب القائد وقال له "شكراً لكم لمساندتنا.. لم أكن أرغب بخوض المزيد من المعارك مع رجالك الشجعان.."

قال النائب وهو يمد يده تجاه الرئيس "فعلت هذا لأجل رجالي بالأساس.. ولأجل يناساً كلها" صافحه الرئيس مغمماً "بهذا.. قد أعلنت صفحة جديدة من تاريخ الكوكب المجيد.."

أما مانيم، فقد طال سيره بضع دقائق تبدت له كساعات طويلة وهو يذرع الممرات بغير هدى.. عليه الفرار.. عليه الهرب بعنقه بعد أن تخلص عنه الجميع، ولا يشك في نهايته إن سقط في أيدي الثوار أو الجنود.. وصل إلى نهاية أحد هذه الممرات، فتأكد له أنه ولا بد يحوي مخرجاً سرياً.. أخذ يبحث بيديه بين الحجارة المصفوفة ويضغط على ما تصلها يده محاولاً البحث عن سبيل لفتح الباب.. ولحسن حظه شعر بإحدى تلك الأحجار تغوص وسمع صوتاً خافتاً والباب ينفتح أمامه بشكل جزئي..

لم يكن مع مانيم أي سلاح بخلاف خنجر صغير، فأمسكه بيده متأهباً وهو يطل من فرجة الباب خوفاً من مباغطة أحد الثوار له.. كان الباب يؤدي لأحد الأجنحة الفخمة، مما دله أنه خاص بأحد الشخصيات عالية المركز في القصر، وإن لم يتمكن من معرفة صاحبه.. كان المكان مظلماً وخالياً، فخرج بحذر وهو يتلفت حوله وعقله يبحث عن مخرج له من المكان قبل أن ينال منه الثوار.. أخذ يبحث في الأدراج والخزائن التي تحوي ثياباً نسائية عن أي سلاح قد يفيد في الدفاع عن نفسه.. وأثناء بحثه أسقط عدداً من الأوراق أرضاً..

جذبه منظر الأوراق المصفرة، فانحنى يرفعها وهو يتفحصها.. ولدهشته العارمة وجدها خرائط خاصة بالممرات السرية التي تحتل القصر بأكمله، فغمغم بابتسامة "هذا رائع.. الحظ لم يغادرني بعد.."

سمع صوتاً خلفه يقول بتوجس "من هناك؟"

استدار مشهراً خنجره، ولم تفته معرفة الفتاة الواقفة وسط الجناح رغم الظلام، فقال بابتسامة جذلة "مرحى.. كنت للتو أقول إن حظي الحسن لم ينفذ بعد"

اتسعت عينا الفتاة وقد تعرفت الصوت، فاستدارت راكضة تجاه باب الجناح، لكنه لحقها بخطوتين وأمسكها واضعا الخنجر على عنقها وباليدين الأخرى كاتماً صوتها "اشتقت إليك يا عزيزتي.. ألم تشتاقي لرؤيتي يا ناريا سناً؟"

لم تجرؤ بي ناريا على الإتيان بحركة وهو يضغط بالخنجر على عنقها.. وسمعه يقول "لو صدر منك أي صوت، فسأنحرك وأهرب من حيث أتيت قبل أن يصل أي أحد لإنقاذك"

ورفع يده عن فمها لتقول له بغضب "ماذا تريد مني؟"

أجابها "الحظ وحده قادني إلى جناحك الآن.. أنا لا أنوي السقوط في يد الثوار بسهولة.. وكنت أود لو أراك وأودعك للمرة الأخيرة قبل ذهابي.. فهل تعتقدين أنني سأترك كل شيء لك وأرحل؟"

قالت مقطبة "وما الذي ستفعله.. ستحتجزني رهينة؟"

أجاب ضاحكا "كنت أود هذا، لكن يبدو أن الثوار لا يهمهم عودتك للعرش البتة.. لذلك قتلك الآن أكثر فائدة من احتجازك"

سمعا طرقاتاً على الباب وصوت جوين يتعالى قائلاً "هل أنت هنا يا مولاتي؟ هناك أمر مهم فاسمحي لي بالدخول"

همس مانيم لها "لا تردي بكلمة أو صوت.."

ازداد الطرق على الباب ومانيم يجذبها إلى الخرائط الموضوعة جانباً، فلملمها بعجلة وهو يسألها "ألا تملكين أي نوع من الأسلحة؟"

أجابت بسخرية "وتريدني الإجابة على هذا السؤال؟"

قال لها بحدة "أجل إن كنت تريدين كسب المزيد من الوقت قبل موتك"

قالت هازة كتفها "وما الفارق؟"

ضغط بالخنجر أكثر حتى ألمها وهو يقول بحقن "أجيبي.. هل تملكين أي..."

فوجئاً بالباب يفتح بعنف وهارولان يذلف منه مشهراً سلاحه.. أسرع جوين التي تبعته بإضاءة المكان، فتعالت شهقاتها مع بعض الوصيفات اللواتي تبعنها وهن يرين تهديد مانيم لبي ناريا.. بينما قال مانيم "أنت لا تتعب، أليس كذلك؟ أستغرب كيف وجدتني بسهولة.."

قال هارولان وهو يصوب سلاحه إلى رأسه "رائحتك الكريهة تدل عليك مهما ابتعدت.. أطلق بي ناريا الآن"

ضحك مانيم معلقاً "بهذه السهولة؟ أطلقها حتى تصيبنني برصاصة قاتلة في اللحظة ذاتها؟"

قال هارولان بلهجة شديدة "ستموت في كل الحالات.."

وتقدم خطوتين تجاههما، لكن مانيم جذب بي ناريا متراجعاً وهو يصيح "لا تقترب أو تأت بحركة لا تعجبني.. هذا إن كنت تهتم بحياتها"

قال هارولان بسخرية "أتهددني؟"

أجاب مانيم "بل أنا أعني ما أقول.."

وضغط بالخنجر أكثر على عنق بي ناريا التي أخفت ألمها وإن لم يفتها الإحساس بالدماء الدافئة التي سالت من تحت الخنجر.. بينما قال هارولان دون انفعال "لا تحاول الضغط علي، فلن يغادر أحداً هذا الجناح قبل أن أراك جثة هامة.."

صاح مانيم "تقتلني؟ هل تود أن تعيد الكرة من جديد؟.. ألم يكفك كل ما حدث لك منذ سنين؟.."
التمع البغض في عيني هارولان وهو يقول من بين أسنانه "بل بسبب ما حدث منذ سنين أنا هنا.. ولن تنجو من يدي مثلما حدث المرة السابقة.."

ظلت بي ناريا تستمع لما يقولونه باهتمام شديد، فيما قال مانيم بعصبية "لا يحق لك هذا وأنت من بدأ معاداتي.. أنت من اقتحم غرفتي وحاول اغتيالي في هيمانيا.. أنت من أصابني بجرح نافذ في صدري وشوهني.. أم أنك نسيت؟ ما حل بوجهك الوسيم وبكل من له صلة بك لا يساوي ما تجرأت بفعله بي تلك الليلة.."

قاطعته بي ناريا سائلة بحدة "وكيف حصلت على موافقة الملك الراحل على أمر كهذا؟"

ضحك مانيم بسخرية مجيياً "موافقتي؟ الملك الساذج كان يمدني بعدد من الأوراق الخاصة به خالية ومذيلة بتوقيعه لتسهيل أموري في الإقليم.. ولم يعلم قط ما فعلته بها.."

قطبت بي ناريا كاتمة غضبها وهارولان يقول بوجه قاتم مرعب "إذن كل ذلك كان من تخطيطك أنت.. تنتقم لجرح تافه بقتلك أشخاصاً أبرياء؟"

صرخ مانيم بثورة "لو أحرقت هيمانيا كلها ما كفاني هذا وشفى غليلي.. أنت، أيها الحقير، تتجرأ علي؟ أنتم مجرد حثالة.. تتجروون على سادتكم وتعيثون الفوضى في مدينتي؟ وفوق كل هذا لن تكتفوا إلا بقتلي؟.. من تظن نفسك أيها الهمجي....؟"

لاحظ هارولان أن مانيم قد فقد شيئاً من حذره مع اشتداد غضبه وصياحه، وبدا بشكل أوضح بعد أن كان مختبئاً خلف بي ناريا.. فلم يتردد هارولان في استغلال الفرصة وهو واثق من قدراته، وبغفلة من الجميع انطلقت رصاصة فجأة من مسدسه لتصيب جبهة مانيم بدقة تامة.. علت مانيم نظرة مذهولة قبل أن يسقط أرضاً ملطخاً بالدماء، بينما لم تحوّل بي ناريا بصرها عن هارولان ولم تُبدِ انفعالاً بموت مانيم، قبل أن تغمغم "ظننتك ستصيبنا نحن الإثنان بضربة واحدة.. كانت تلك فرصة رائعة لك للانتقام.."

لم يجبها وهو يقترب من جثة مانيم، وركله بازدراء وهو يشعر أن ناراً كانت تعتمل في صدره قد انطفأت تماماً.. لم يظن أن قتل هذا الحقير كان كفيلاً بإراحته من كل تلك الانفعالات التي سكنت صدره منذ ليلة مقتل أهله أجمعين.. قطع أفكاره صوت بي ناريا وهي تسأله "أهذا سبب كل ما فعله مانيم بك؟"

بدا أنه لن يجيبها بكلمة، ثم قال بصوت هاديء يخفي انفعاله "بعد كل ما ارتكبه مانيم في هيمانيا، تسللت لقصره في ليلة وحاولت اغتياله ليرتاح الشعب من شره.. لكنه أفلح بالهرب، ولم أصبه إلا بجرح في صدره.. لكن لم أتوقع أن يستهدف عائلتي كلها مقابل ذلك الجرح المهين.. حياتهم كلها لا تساوي تشوهاً بسيطاً في صدره؟ بنس المعيشة معيشتنا في حكمه.."

لم تعلق بي ناريا وهي حائرة في ما تقوله.. أتعزيه بمن فقدهم أم تهنئه بما أحرزه في انتقامه؟.. التفت هارولان ليرى بي ناريا تنظر إليه بصمت، فمد يده بدون شعور ومسح الدماء التي تسيل من الجرح الذي أحدثه مانيم في رقبتها، لكنه سحب يده بعدها بسرعة قبل أن يقول لها بدون انفعال ظاهر "هل أنت بخير؟" ضغطت على الجرح في رقبتها بيدها وباليدين الأخرى مسحت دماء مانيم التي لطخت جانباً من رأسها مجيبة بابتسامة "عدا عن هذا الجرح البسيط فأنا فقط مشمئزة من دماء هذا الوغد التي لطختني.."

ثم أضافت "لا أظنني بحاجة لشكرك فأنت لم تسع لإنقاذي بل كنت تأخذ ثأرك.. أليس كذلك؟" تجاهلها من جديد وغادر المكان بصمت، فيما اقتربت منها جوين مع وصيفاتها بجزع وإحداهن تحمل بعض العدة لمعالجة جرحها، لكنها قالت وهي تبتعد "ليس الآن.. أريد أن أستحم.. جهزوا لي أفضل عطوري، فرائحة الدماء الفاسدة هذه تكاد تخنقني"

وأشارت للجنة قائلة "ولا أريد أن أرى أي أثر يدل على ما حدث هنا عندما انتهى.. فليلقى هذا المافون خارجاً ولا يدفن حتى تتعفن جثته كما تعفنت نفسه منذ الأزل"

سارعت الوصيفات لتلبية طلباتها، بينما وقفت بي ناريا قرب مرآة كبيرة تغطي الجدار تتأمل الجرح في رقبتها، والذي شيئاً ما ذكرها بجرح هارولان.. لو أصابها هذا الجرح قبل مغادرتها القصر لملاّت الدنيا صراخاً من تشوه جمالها الذي تحرص عليه كل الحرص.. لكنه الآن لا يعني لها شيئاً، وحتى وجهها تراه باهتاً لا يوحى بأي جمال، وكأن رفض هارولان لها جعلها ترى نفسها بنظرة جديدة تختلف عن كل الثقة والغرور اللذين شعرت بهما طوال حياتها..

تنهدت محاولة إزالة كل المشاعر التي ملأتها في الشهر الذي مر عليها منذ أطاح بها مانيم وهي عاجزة عن تصديق أن كل هذا قد انتهى.. نظرت إلى يناساً من نافذتها حيث بدأت الشمس بإرسال أول خيوط نورها إلى المدينة المجروحة، فلم تصدق بي ناريا أن كل هذا قد حدث وانقضى في ليلة واحدة.. التفتت تتأمل جثة مانيم ملياً، قبل أن تتجه لأخذ حمامها مغممة "نهاية أقل مما يستحقه هذا المافون البغيض.."
